

المكتبة السللمانية في إستانبول أعظم مجمع لمخطوطات التراث الثقافى العربى

د. عزة حسن (*)

إن مدينة إستانبول العظمى هى أكبر موطن وأحرز موئل فى العالم لمخطوطات التراث الثقافى العربى القديم، بل هى الجنة الغناء لهذا التراث الغنى. ولا يساويها فى هذه الميزة العليا مدينة أخرى فى الدنيا كلها. فيها ما يزيد على عشر مكتبات تزخر بالمخطوطات العربية فى شتى فنون الآداب والعلوم. والمكتبة السللمانية أعظم هذه المكتبات وأغناها. وهى أكبر مركز فى العالم أجمع يحتفظ بأكثر عدد من مخطوطات التراث الثقافى العربى. تقع هذه المكتبة فى قلب مدينة إستانبول القديمة، إلى جانب الجامع السللمانى الشهير. وهو أفخم جامع فى العالم الإسلامى. وتشغل اليوم بناء المدرسة الأولى، وبناء المدرسة الثانية، فى المجمع الثقافى الكبير الذى أمر بإنشائه فى سنة (١٥٤٩) السلطان سليمان القانونى العثمانى. وهو أعظم سلاطين الدولة العثمانية. وهاتان المدرستان بناءان واسعان متقابلان، يفصل بينهما شارع صغير، يؤدى إلى الجامع السللمانى فى الجهة الشرقية منهما.

(*) باحث ومحقق سورى ومدير دار الكتب الظاهرية سابقاً، مقيم فى المملكة المغربية.

تشتمل المدرسة الأولى الجنوبية على خزائن مجموعات المخطوطات بأقسامها المختلفة. وفيها معرض صغير، عُرض فيه بعض النفاثس من مقتنيات المكتبة، من المخطوطات والخرائط والمصوِّرات وغيرها. أما المدرسة الثانية الشمالية ففيها قاعات البحث والمطالعة، وأدراج الفهارس المختلفة، وحجرة المدير العام، وحجرات الإدارة الأخرى، ومعمل التصوير، ومعمل الترميم. وقد نُقلت إلى هذه المكتبة الكبرى مجموعات المخطوطات التي كانت محفوظة في المساجد والمدارس والجامع والتكايا والتُرب القديمة، وغيرها من الأماكن في أنحاء إستانبول المختلفة، ومن مدن وبلدات وقرى خارج مدينة إستانبول. مثل مخطوطات مسجد السلطان محمد الفاتح في إستانبول. فقد تشققت القبة التي كانت فيها خزائن المخطوطات، وتسربت مياه الأمطار من الشقوق، وبلَّت قسماً من المخطوطات. فنُقلت المخطوطات كلها سريعاً إلى المكتبة السليمانية. وحُفظت هناك في جرّز حريز. ونُقلت إليها كذلك مخطوطات مكتبة مسجد آيا صوفيا في إستانبول، حين بدأت فيه أعمال الإصلاح والترميم.

وضُمَّت إلى السليمانية مجموعات أخرى من المخطوطات قدّمها إليها بعض الأساتذة والعلماء، على سبيل الهدايا أو الصدقات، وبعض الرجال الفضلاء، على سبيل الوقف الدائم. ومجموعات عديدة من مكنتبات خاصة لرجال الدولة العثمانية من الوزراء والقضاة والكتّاب وقادة العسكر وغيرهم.

وهكذا قارب عددُ ما اجتمع من المخطوطات في السليمانية (١٠٠) ألف مخطوط. فيها ما يقارب (٢٠٠) ألف كتاب. وذلك لأن بعض المخطوطات يحتوي على أكثر من كتاب. ومعظم هذه المخطوطات من التراث الثقافي العربي، في فنونه المختلفة من الآداب والعلوم. وأعداد قليلة منها مكتوبة باللغة التركية، وعدد أقل منها مكتوب باللغة الفارسية، أو بلغات أخرى. أخبرني بهذه الأمور كلها الصديق الدكتور نُوذات قايا، المدير العام للمكتبة السليمانية.

ولا تمتاز السليمانية بهذا العدد الكبير من المخطوطات فحسب، بل هي تمتاز بقيمة أخرى ذات شأن وخطر. وتلك أنّ فيها مخطوطات كثيرة من النفاثس الثمينة. بعضها مكتوب بخطوط المؤلِّفين، وبعضها مكتوب بخطوط مشاهير الخطاطين، وبعضها مخطوطات نادرة، وحيدة فريدة، لا أخت لها في مكان آخر، وبعضها مقروء على كبار العلماء، وعليها توقيعاتهم وإجازاتهم، وزياداتهم وحواشيهم. وبعض المخطوطات ذات قيمة فنية أثرية من جهة الخط والزخارف والنُّمنات الملونة الجميلة، والتذهيب والتصوير والتجليد الفاخر. ويعدّ كل ذلك من فنون صناعة الكتاب العربي القديم خلال العصور الماضية. وقد جعلت مجموعات المخطوطات التي نُقلت إلى السليمانية في أقسام خاصة. كلّ قسم منها مستقل قائم بنفسه، ويحمل اسم المكتبة أو اسم المكان

الذي اجْتُلبت منه المخطوطات، أو اسمَ العالم الذي أهداها، أو اسمَ الشخص الذي وقفها. مثل قسم السلطان محمد الفاتح، وقسم الشهيد علي باشا، وقسم مكتبة آياصوفيا.

وتحمل مخطوطات كل قسم منها أرقامًا متسلسلة خاصة بها. وأُتبعَت هذه الخطة الجميلة حِفاظًا على الكيان الأصيل للمخطوطات، وتقديرًا للعلماء والرجال الفضلاء الذين قدّموها للسليمانية في سبيل الله، وتخليدًا لذكورهم بسبب خدمتهم للعلم والعلماء.

ونذكر فيما يلي أشهر أقسام المخطوطات المخزونة في المكتبة السليمانية.

١- إبراهيم أفندي. وهو ملحق بقسم السلطان الفاتح.

٢- السلطان أحمد الأول.

٣- أرزنجان (مدينة في الأناضول).

٤- إزمير (مدينة).

٥- أسعد أفندي شيخ الإسلام.

٦- أسعد أفندي مدرّسه سي.

٧- إسْمِخان (أسماء خان) سلطان.

٨- آياصوفيا. (مسجد آياصوفيا).

٩- أيّوب حاجي بشير آغا.

١٠- بَرْتَوُ باشا.

١١- بَرْتَوُ نْهال.

- ١٢- بغداد لي وَهبي.
- ١٣- جار الله أفندي.
- ١٤- جلبي عبد الله.
- ١٥- جور ليلي علي باشا.
- ١٦- حاجي بشير آغا.
- ١٧- حاجي محمود أفندي.
- ١٨- حافظ أحمد باشا.
- ١٩- حالت أفندي.
- ٢٠- حسن حسني باشا.
- ٢١- حسن خيرى - خوجه عبد الله.
- ٢٢- حضرة خالد. (مسجد أبي أيوب الأنصاري).
- ٢٣- حفيد أفندي.
- ٢٤- حكيم أوغلي علي باشا.
- ٢٥- حميدية.
- ٢٦- خربوط. (مدينة في الأناضول).
- ٢٧- خُسْرُو باشا.
- ٢٨- دار المثنوي.
- ٢٩- داماد إبراهيم باشا.
- ٣٠- رئيس الكتاب مصطفى أفندي.
- ٣١- رُوُوف يَكْتَا.
- ٣٢- رُسْتَم باشا.

- ٣٣- رشيد أفندي.
٣٤- زُهدي بيك.
٣٥- سَرَزُ. (مدينة في تراكيا).
٣٦- سَرَوِيلِي. (مدرسة).
٣٧- سليمانِيَّة. (مكتبة).
٣٨- سُوْتُلُوجِه. (دَرْكَاه).
٣٩- سيد نظيف أفندي.
٤٠- شازلي تَكِيَه سي.
٤١- شاه زاده محمد.
٤٢- شريف محيي الدين طَرْغان.
٤٣- شهيد علي باشا.
٤٤- صالحَة خاتون.
٤٥- طارق كُوكْمَن.
٤٦- طاهر آغا تَكِيَه سي.
٤٧- طَرْخان والدَه سلطان.
٤٨- عبد الغني آغا.
٤٩- عاشر أفندي شيخ الإسلام.
٥٠- علي نِهَاد طَرْلان.
٥١- عُشَّاقِي تَكِيَه سي.
٥٢- عثمان خُلدي أَرْزُتُكَلَر.
٥٣- عَمُوجِه زاده حسين باشا.

- ٥٤- الفاتح (السلطان محمد الفاتح).
٥٥- فتحي سزائي تركمان.
٥٦- فيض الله باشا.
٥٧- قاضي زاده برهان الدين.
٥٨- قاضي زاده محمد.
٥٩- قَرَه جَلْبِي زاده حسام الدين.
٦٠- قصيدة جي زاده سليمان سِرِّي.
٦١- قِيلِيغ علي باشا.
٦٢- كِيرَسُون. (مدينة في الأناضول).
٦٣- لالا إسماعيل.
٦٤- لآله لي. (مسجد في إستانبول).
٦٥- محمد آغا.
٦٦- محمد حَلْمِي - فتح الله فهمي.
٦٧- محمد مراد - محمد عارف.
٦٨- محمود باشا.
٦٩- مَسِيح باشا.
٧٠- مراد بخاري.
٧١- مراد مُلَا.
٧٢- مُصَلِّي مدرسه سي.
٧٣- مُلَا جَلْبِي.
٧٤- مَهْرشاه سلطان.

- ٧٥- مُوعلاً خُوجه مصطفى أفندي.
 ٧٦- نافذ باشا.
 ٧٧- نصوحي دَرَكَاه.
 ٧٨- نوري أزلَسز.
 ٧٩- نوري أفندي.
 ٨٠- يازُمه باغشَلر.
 ٨١- يحيى توفيق أفندي.
 ٨٢- يني جامع. (مسجد في إستانبول).
 ٨٣- يني مدرسه.
 ٨٤- يُوزغات (مدينة في الأناضول).

* * *

وهناك فهارس مطبوعة لعدد من الأقسام في السلمانية، وقد صنعها بعض العلماء العارفين بالتراث الثقافي العربي والإسلامي، في عهد السلطان عبد الحميد الثاني العثماني، أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وطُبعت باللغة التركية العثمانية المكتوبة بالحروف العربية، وهي فهارس وجيزة مختصرة. يُذكر فيها عنوان الكتاب المخطوط، واسم مؤلّفه، ورقم تسجيله في قسمه، ومعلومات وفوائد قليلة تتعلق بالخط وحال المخطوط فحسب. وهي مع ذلك مفيدة جداً للباحثين وجمهور القراء المطالعين، على كونها مختصرة. وقد رُصفت في خزانة خاصة بها، في إحدى زوايا قاعة المطالعة العامة، ليرجع إليها ويستفيد منها من يشاء من الباحثين وسائر القراء. وهذه الفهارس المطبوعة هي:

- ١- دفتر كُتُبْخانه عَمُوجَه حَسِين باشا. ويحتوي القسمين:
 - عموجه حسين باشا (ص ١ - ٤٩).
 - سيد نظيف أفندي (ص ٥٠ - ٥٩).
- ٢- دفتر كُتُبْخانه عاشر أفندي. ويحتوي الأقسام الأربعة:
 - رئيس الكتاب مصطفى أفندي (ص ١ - ٩٧).
 - عاشر أفندي شيخ الإسلام (ص ٩٨ - ١٤٧).
 - حفيد أفندي (ص ١٤٨ - ١٨٩).
 - ملحق حفيد أفندي (ص ١٨٩ - ١٩٣).
- ٣- دفتر كُتُبْخانه آيا صوفيا. ويحتوي الأقسام الثلاثة:
 - آيا صوفيا (ص ١ - ٣٨٦).
 - سعد الدين مبتغي (ص ٣٨٧ - ٣٩٣).
 - خوجه سعد الدين أفندي (ص ٣٩٤ - ٣٩٧).
- ٤- دفتر كُتُبْخانه بشير آغا. ويحتوي القسمين:
 - بشير آغا (ص ١ - ٥٨).
 - نور الدين آغا (ص ٥٩ - ٦٠).
- ٥- دفتر كُتُبْخانه جَلِّي عبد الله أفندي (ص ١ - ٤٥).
- ٦- دفتر كُتُبْخانه جُوزُلُوي علي باشا (ص ١ - ٣٥).
- ٧- دفتر كُتُبْخانه داماد إبراهيم باشا (ص ١ - ٨٧).
- ٨- دفتر كُتُبْخانه دوغوملي بابا (ص ١ - ٤٧).
- ٩- دفتر كُتُبْخانه أسعد أفندي (ص ١ - ٣٤٢).
- ١٠- دفتر كُتُبْخانه جامع أيوب (ص ١ - ٢٣).

- ١١ - دفتر كتبخانه الفاتح. ويحتوي القسمين:
 - الفاتح (ص ١ - ٣٨١).
 - إبراهيم أفندي (ص ١ - ٥٩).
- ١٢ - دفتر كتبخانه فيض الله أفندي. ويحتوي الأقسام الثلاثة:
 - فيض الله أفندي (ص ١ - ٢٧).
 - إسماعيل آغا (ص ٢٨ - ٤١).
 - شيخ مراد - دار المثنوي (ص ٤٢ - ٧٩).
- ١٣ - دفتر كتبخانه حالك أفندي. ويحتوي القسمين:
 - حالك أفندي (ص ١ - ٧٠).
 - ملحق حالك أفندي (ص ٧١ - ٩٦).
- ١٤ - دفتر كتبخانه حميديه. ويحتوي القسمين:
 - حميديه (ص ١ - ١٠٠).
 - لالا إسماعيل (ص ١٠١ - ١٥٢).
- ١٥ - فهرست كتبخانه حسن حسني باشا (وزير البحرية العثمانية)، (ص ٥٠).
- ١٦ - دفتر كتبخانه حكيم أوغلي علي باشا (ص ٧٢).
- ١٧ - دفتر كتبخانه خُسْرُو باشا (ص ٧٨).
- ١٨ - دفتر كتبخانه إسمي خان سلطان (ص ٤٠).
- ١٩ - دفتر كتبخانه حسام الدين أفندي. ويحتوي القسمين:
 - قَرَه جَلبي زادَه حسام الدين أفندي.
 - نَقْش دُلْ والِدَه سلطان.

- ٢٠- دفتر كتبخانه قِيلِيح علي باشا (ص ٩٢).
- ٢١- دفتر كتبخانه لآلِي (ص ٣٨٢).
- ٢٢- دفتر كتبخانه محمود باشا وكتبخانه رُسْتَم باشا.
ويحتوي الأقسام الأربعة:
- محمود باشا (ص ١ - ٢٧).
- إزميري مصطفى أفندي (ص ٢٧ - ٣٤).
- رُسْتَم باشا (ص ٣٥ - ٤٧).
- يوسف آغا (ص ٤٨ - ٧٢).
- ٢٣- دفتر كتبخانه مِهْرشاه سلطان (ص ٧٦).
- ٢٤- دفتر كتبخانه سليمان (ص ٧٤).
- ٢٥- دفتر كتبخانه سَرْوِيلِي (ص ٣٣).
- ٢٦- دفتر كتبخانه سليمانيه (ص ١١١).
- ٢٧- دفتر مدرسة شيخ الإسلام أسعد أفندي. ويحتوي الأقسام الثلاثة:
- شيخ الإسلام أسعد أفندي (ص ١ - ١١).
- جامع محمد آغا (ص ١٢ - ٢٠).
- يني مدرسه (ص ٢١ - ٣٠).
- ٢٨- دفتر كتبخانه جامع والده (ص ٦٩).
- ٢٩- دفتر كتبخانه يحيي أفندي (ص ٤٧).
- ٣٠- دفتر كتبخانه يني جامع. ويحتوي الأقسام الثلاثة:
- يني جامع (ص ١ - ٧٦).

- طرخان والدّه سلطان (ص ٧٧ - ١٠١).
- المعلم الحاج مصطفى أفندي (ص ١٠٢ - ١٠٣).
- ٣١- دفتر كتبخانه داماد زاده محمد مراد. ويحتوي الأقسام الأربعة:
- مُراد مُلاً (ص ١ - ١٤٨).
- محمد مراد (ص ١٥٠ - ١٦١).
- محمد عارف (ص ١٦٢ - ١٧٠).
- عَلِيُؤُلِّي طاهر (ص ١٧٢ - ١٧٩).
- ٣٢- دفتر كتبخانه قرّه مصطفى باشا. ويحتوي الأقسام الثلاثة:
- قرّه مصطفى باشا (ص ١ - ٣٦) ^(١).
- مُصَلِّي مدرسه سي (ص ٣٧ - ٥٤).
- جامع حكيم أوغلي (ص ٥٥ - ٥٨).

* * *

وهناك فهارس أخرى، صُنعت وطُبعت حديثاً، بمبادرة من المديرية العامة للمكتبات في وزارة الثقافة. وصدرت باللغة التركية المكتوبة بالحروف الأجنبية (اللاتينية). وعناوين الكتب مكتوبة بالحروف العربية. وهذه الفهارس الحديثة هي ^(٢):

(1) هذا القسم محفوظ في مكتبة بايزيد. وليس في السليمانية.

- ١- فهرس المخطوطات العربية في قسم بغداد لي وهي أفندي في المكتبة السليمانية. تصنيف نائل بَيْرُقْدَار. طبعة إستانبول ١٩٨٤م. (ص ١٢٦). وثلاث صور).
- ٢- فهرس مخطوطات قسم نوري أزلأسز في المكتبة السليمانية. منشورات المديرية العامة للمكتبات في وزارة الثقافة. طبعة إستانبول ١٩٩١م. (ص ٣٢).
- ٣- مخطوطات متحف أنطاليا، ومتحف آلاانيا، وآق سكي يكن محمد باشا، ومكتبة ألمالي، وتكيه لي أوغلي. منشورات المديرية العامة للمكتبات في وزارة الثقافة، ٥ مجلدات من سلسلة الفهرس العام للمخطوطات في تركيا. طبعة إستانبول ١٩٨٢-١٩٨٤م. (ص ٣٢٠-٤٨٠-٤٨٠-٣٦٧).
- ٤- مخطوطات كيرسون، و ريزه، و أورُدو. منشورات المديرية العامة للمكتبات في وزارة الثقافة، من سلسلة الفهرس العام للمخطوطات في تركيا. طبعة انقره ١٩٨٠م.
- ٥- مخطوطات قسم علي نهاد طرلان في المكتبة السليمانية. منشورات المديرية العامة للمكتبات في وزارة الثقافة، من سلسلة الفهرس العام للمخطوطات في تركيا. طبعة انقره ١٩٨١م.

٦- مخطوطات قسم عَمُوجه زاده حسين باشا، وقسم حكيم باشي موسى نظيف أفندي. منشورات المديرية العامة للمكتبات في وزارة الثقافة، من سلسلة الفهرس العام للمخطوطات في تركيا. طبعة أنقرة ١٩٨٧م.

٧- مخطوطات قسم مصطفى عاشر أفندي في المكتبة السلیمانیة. منشورات المديرية العامة للمكتبات في وزارة الثقافة، من سلسلة الفهرس العام للمخطوطات في تركيا. طبعة أنقرة ١٩٩٤م.

* * *

وتوجد إلى جانب الفهارس القديمة المطبوعة بالحروف العربية، والفهارس الجديدة المطبوعة بالحروف الأجنبية، فهارسُ أخرى مخطوطة لبعض أقسام المخطوطات. وهي قليلة معدودة. أشهرها وأهمها الفهرس الذي صنعه الأستاذ محمد الصفائحي لنفسه، وهو عالم تونسي الأصل، كان يعمل في فَهْرَسَة المخطوطات في المكتبة السلیمانیة، وفي غيرها من مكْتَبَاتِ إستانبول. ويضم هذا الفهرس المخطوط عناوينَ مخطوطات عربية، لكتب قيِّمة مشهورة من التراث الثقافي العربي في شتى فنونه من الآداب والعلوم. وقد اختارها العالم الصفائحي، رحمه الله، من محتويات السلیمانیة، ومن غيرها في مكْتَبَاتِ إستانبول. ورَتَّبَها على حروف المعجم، حسب أسماء الكتب، وكتبها بخط يده. وهو فهرس قيِّم، مفيد جدًّا في كشف وتعرُّف النوادر والنفائس من مخطوطات التراث العربي في مكْتَبَاتِ إستانبول، ومكْتَبَاتِ سائر مدن تركيا.

ولا يفوتنا أن نذكر الفهرس العام الذي يشمل كل المخطوطات المحفوظة في المكتبة السليمانية. ونعني فهرس الجُذَازات المطبوعة على الورق. وهو فهرس مرتَّب على عناوين الكتب، حسب حروف الهجاء التركبية. ولكل مخطوط جُذَازة واحدة خاصة به. فيها عنوان الكتاب، واسم المؤلف، واسم الناسخ الكاتب، وتاريخ النسخ والكتابة، ومعلومات أخرى عن نوع الخط والورق، وعدد الصفحات وأشياء غير ذلك. ثم تسجيل الرقم الذي يحمله المخطوط في القسم المحفوظ فيه.

* * *

وقد أُسس في السليمانية معمل للتصوير سنة (١٩٥٠م) وجُهِّز بكل الآلات والأدوات اللازمة للتصوير على شرائط الأفلام الصغيرة (المكروفيلم) وعلى الورق والأفراص المدبَّجة. ويجري تصوير المواد حسب أحكام قانون سنَّته وزارة الثقافة للفائدة العامة، في التبادل الثقافي على المستوى العالمي، أو في مقابل أداء تكلفة تصوير المواد المطلوبة.

وتمتلك السليمانية، إلى جانب محتوياتها من المخطوطات، أرشيفًا غنيًا، يضم عددًا كبيرًا من شرائط الأفلام لمخطوطات نادرة كثيرة من مكتبات تركيا، ومن مكتبات أخرى في العالم.

* * *

وتستقبل السليمانية زُودها من العلماء والباحثين وطلبة العلم كل يوم، ابتداء من الساعة التاسعة صباحًا، إلى الساعة الخامسة مساءً. وتقدِّم لهم المخطوطات التي يودُّون الاطلاع عليها، من غير استثناء، ومن دون أي قيد أو شرط.

وما أكثر الأيام، وما أجملها، التي قضيتها من عمري، في قاعة المطالعة الجميلة، في السلیمانية العامرة، وأنا أنعم بأريج المخطوطات التي أنظر فيها، غائبًا عن الوجود، مسحورًا بألق آثار تراثنا العربي المجيد.

وتمرّ الأيام، وتدور السنون، وصرح السلیمانية العريق قائم وسط مدينة إستانبول العظمى، يشع نورًا وخيرًا، ويفيض علمًا وعرفانًا، لمواكب العلماء والباحثين. وهم يقبلون إليه، ويؤمنون جمه من كل حدب وصوب، في الشرق والغرب، ومن كل الأعراق والأقوام. ينهلون من موارده أعذب المعطيات، ويجتنون من جناته أطيب الثمرات. فبارك الله بالسلیمانية، وحمها من عوادي الزمان. ورحم الله الرجال الأفاضل الذين أفاضوا لهم الثواب في جنات النعيم. وأعان الله الناس القائمين عليها والعاملين فيها. وقواهم على جميل الأعمال. وجزاهم خيرًا وإحسانًا. اللهم آمين. والحمد لله رب العالمين على ما أفاد وأعان.